# بك ألوذ

## « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ...»

## اللقاء الثالث عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى الترمذي في صحيحه عَنْ عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أنه قلَّما كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يقومُ من مَجلسٍ حتَّى يدعوَ بِهَؤلاءِ الكلِماتِ لأصحابِهِ: « **اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا**».

في هذا الحديثِ دُعاءٌ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، جامِعٌ لكثيرٍ مِن أبوابِ الخيرِ وتحقيقِ السَّعادةِ في الدَّارَين؛ فقَد اشتَمَل على مَطالِبَ عَظيمةٍ فيما يَحتاجُ إليه العبدُ في دينِه ودُنياه، فقد جمعت من مقاصد ومطالب جليلة فيما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، ومعاده؛ لهذا كان عليه الصلاة والسلام نادراً ما يقوم من مجلس إلا وقد رطب لسانه من هذه الكلمات، والدعوات الجميلة وفيه يَقولُ ابنُ عُمرَ رَضِي اللهُ عَنهما: "قَلَّما كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم يَقومُ مِن مَجلِسٍ"، أي: نادِرًا ما يقومُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه

وســـلَّم مِن مَجلِسٍ، "حتَّى يَدعُوَ بهؤلاءِ الكلماتِ"، أي: يكونُ حَريصًـــا على أن يَدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ لأصحابِه... فيحسن بالعبد أن يتعلم معانيها، ويعمل بمقاصدها ويكثر منها، خاصة في المجالس اتباعاً واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

الشرح:

قوله: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ): اللَّهم اجعل لنا حظًّاً ونصـــيباً من خوفك المقترن بتعظيمك وإجلالك، ما يكون حاجزاً لنا ومانعاً من الوقوع في المعاصي والذنوب والآثام، وهذا فيه دلالةٌ على أن خشية اللَّه هي أعظم رادع وحاجز للإنسان عن الوقوع في الذنوب؛ وذلك لأن العَبدَ إذا امتَلَأ قلبُه إجلالًا وتَعظيمًا للهِ عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ ذلك يَمنَعُه مِن أن يَرتَكِبَ المحظوراتِ، ولهذا كان العلماء هم أكثر خشـية للَّه جل وعلا لمعرفتهم وعلمهم باللَّه جل وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَـى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [ فاطر: 28]فكلما ازدادت معرفة العبد باللَّه بما له من الأسماء الحسنى والصـــفات العُلا، امتلأ القلب خشـــية، وأحجمت الأعضـــاء، والجوارح، جميعها عن ارتكاب المعاصي.

قوله: (وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ): أي: وارزُقْنا القِيامَ بامتِثالِ والْتِزامِ ما تُحِبُّه وتَرْضاه مِن الأقوالِ والأفعالِ، ويسر لي من طاعتك ما يكون سبباً لنيل رضـاك، وبلوغ جنتك العظيمة، التي أعددتها لعبادك المتقين.

قوله: (وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَـــائِبَ الدُّنْيَا): أي: ارزُقْنا قوَّةَ الإيمانِ بما قدَّرتَه وكتَبْتَه مِن الحِكْمةِ وتَكفيرِ سيِّئاتِنا ورَفْعِ درَجاتِنا.

أي اقسم لنا من اليقين الذي هو أعلى الإيمان، إيمان لا شك فيه، ولا تردد، فالغائب عنده كالمشاهد من قوته، قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب، لطار اشتياقاً إلى الجنة وهروباً من النار.

إذا كان عند الإنسان يقين تام فإنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذا قد كُتب وقدر قبل أن يُخلَق، فالله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ [الحديد:22]، كل هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، وإذا أيقن العبد بهذه الحقيقة فإنه لا يجزع، ولا يتبرم، ولا يتسخط من أقدار الله المؤلمة، بل يصبر، ولا يقول: لو أني ما فعلت كذا، لو أنه ما سافر فلان، لو أنه ما حصل كذا، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان، هذا أمر لابدّ أن يكون، ولا يموت أحد إلا بأجله.

✍فنسألك من اليقين ما يكون سبباً لتهوين المصائب والنوازل التي تحل علينا، واليقين كلما قوي في الإنسان كان ذلك فيه أدعى إلى الصبر على البلاء؛ لعلم الموقن أن كل ما أصابه إنما هو من عند الله الحكيم العليم، فيرضى ويسلم ويكون برداً وسلاماً على قلبه.

قوله: (اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا): أي أدم عليَّ السمع والبصر وسائر قواي أتمتع بها في مدة حياتي؛ لأنها الدلائل الموصلة إلى معرفتك وتوحيدك، من البراهين المأخوذة:

إما من الآيات المنزلة وطريق ذلك السمع، أو من الآيات في الآفاق والأنفس، وطريق ذلك البصر.

وقوله (وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا): أي متعنا بسائر قوانا من الحواس الظاهرة والباطنة، وكل أعضائنا البدنية، سأل التمتع بكامل قواه طول حياته إلى موته؛ لأن الضعف وسقوط القوة في الكبر يضرُّ الدين والدنيا مما لا يخفى.

قوله: (وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا): اجعل يا الله تمتعنا بالحواس والقوى صحيحة وسليمة إلى أن نموت، قوله: (الوارث منا): يحتمل معنيين: الأول: أي: باقِيًا مُستمِرًّا بأنْ تكونَ صحيحةً وسليمةً إلى الموتِ، فكانت بمكانةِ الوارِثِ؛ لأنَّه هو مَن يَبْقى بعدَ وفاةِ مُورِّثِه، ، والثاني: الذي يرث ذكرنا فنذكر به بعد انقضاء الآجال وانقطاع الأعمال، اجعَلْ هذا الانتِفاعَ والتَّمتُّعَ في ذُرِّيَّتِنا مِن بَعدِنا وهذا المعنى سؤال خليل الرحمن: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}.

قوله: (وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا): أي: اجعَلْ انتِقامَنا وطلَبَنا لحَقِّنا "على مَن ظلَمَنا" لا يتعدَّاه فنُدرِكُه منه، ولا تَجْعَلْنا مُعتَدين على غَيرِنا فنَكونَ ظالِمين.

قوله: (وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا): تعميم بعد تخصيص أي اكتب لنا الظفر والفوز على من تعدَّى علينا بغير حق.

قوله: (وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا): اللهمَّ لا تُصِبْنا بما يَنقُصُ دِينَنا من اعتقادِ سُوءٍ، وأَكْلِ الحرامِ، أو انتكاسة وكَسلٍ وانتقال من العبادات والطاعات إلى المعاصِي المهلِكات، أو كتسليط الكفار، والمنافقين، والظلمة على أهل الدين والإيمان؛ لأن

مصـــيبة الدين هي أعظم المصـــائب و هي المصـــيبةُ الحقيقيَّةُ ، التي لا تنجبر ولا يُعوِّض عنها، خلاف مصـائب الدنيا ؛ لأنَّه إذا أُبقِيَ على دِينِ المرءِ فما فاتَه من الدُّنيا شـيءٌ، وإذا ضاعَ الدِّينُ لم يَفُزْ بشيءٍ.

وهذا أعظم ما يُبتلى به العبد، فالإنسـان قد يصـاب في ماله، قد يخسـر في تجارته، قد يصـــاب في بدنه، قد يصـــاب في ولده، قد يصـــاب في أمور أخرى من هذا الحطام الزائل الفاني، لكن من كانت مصـيبته في دينه فهذه هي أعظم بلية ورزية تحصـل للعبد، فقد تجد هذا الإنسـان في حال من الإقبال على الله، والاسـتقامة، والصـلاح، والمحافظة على الصلوات، ثم يتغير، فصار يترك الصلوات، وصار يشتغل بما يحرم عليه الاشتغال به، وصـــار لربما يمارس بعض أنواع المحرمات، والمعاصـــي، بل الكبائر من الفجور، والفواحش، ولربما أدى به ذلك إلى كثير من التضـــييع في حقوق أهله، ومن يجب عليه القيام عليهم بما أمر الله -تبارك وتعالى، والشـــكوى متكررة، كثيرة، كم من النســـاء تشتكي: أن زوجها تغير، وأصيب في دينه، وحصل له انحراف، وانتكاسة بعد استقامة، فهؤلاء أصـيبوا في دينهم -نسـأل الله العافية، فالواحد يدعو ربه أن لا يجعل مصـيبتنا في ديننا، فإذا رأيت ضـعفًا وتراجعًا في تمسـكك بدينك، واسـتقامتك على أمر الله -تبارك وتعالى- فاعلم أنك قد أصـبت في أمر عظيم، وهو: في الدين، وكل شـيء يهون سـوى الدين، ومن لم يكن إلى زيادة، فهو حتمًا إلى نقصان، كما قال ابن القيم -رحمه الله.

قوله: (وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا):أي: لا تجعَلْ أعظَمَ ما نَقصِـــدُه ونَهتَمُّ به ونَحزَنُ مِن أجلِه هو أمورَ الدُّنيا، فنَنشَغِلَ بها، وتُلهِيَنا عن العِبادةِ والطَّاعةِ.

قوله: (وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا): أي لا تجعل أكثر علمنا وتفكيرنا في أحوال الدنيا كالكافرين، قال تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}.

□بعض الناس من تسيطر الدنيا على قلبه، وتشغل فكره، فمن أجلها يقوم، ومن أجلها يقعد، ومن أجلها يحب، ويبغض، ويجالس، ويصادق، ويعادي، ويقرب، ويبعد من الناس، من أجل الدنيا، هي أكبر هم هذا الإنسان، مستعد أن يبذل كل شيء، يبذل دينه، ويضيع أمانته من أجل الدنيا، مستعد أن يغش، ويدفع الرشوة، ويتلاعب بالفواتير من أجل تحصيل شيء من حطام الدنيا، ومن هذا السحت، وهكذا حينما تكون الدنيا أكبر هم الإنسان فإنه لا يشتغل قلبه إلا بها، فتجده حتى ولو كان يصلي هو يفكر فيها، وفي مكاسبها، وفي حطامها الفاني.

□يكون مبلغ الإنسان هو الحياة الدنيا، طرق المكاسب، وطرق الإنتاج، وطرق التصنيع، وزيادة الدخل، وأشياء كثيرة، فتجده حاذقًا في هذه المطالب الدنيوية، وتتعجب من حذقه، وكيف أنه سخر عقله وفكره لها.!

□ويدخل في هذا من يدرس فقط من أجل الدنيا، سبع عشرة سنة حتى يتخرج من الجامعة، كل هذا من أجل أنه يُحصِّل شيئًا من هذه الدنيا، مع أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، وأجلها، فسخر أيام العمر، أحسن أيام العمر، وسخر أيام الشباب، وسخر فكره، وطاقته، وذكاءه، وعقله، وكل هذا من أجل تحصيل هذا الحطام المضمون، فهذا صارت الدنيا عنده هي مبلغ العلم.

قولـه: (وَلَا تُسَـــلِّطْ عَلَيْنَـا مَنْ لَا يَرْحَمُنَـا): أي: مِن القومِ الكـافِرينَ، أو من الأُمراءِ الظَّالِمين، أو من السُّـفهاءِ الجاهِلينَ؛ فلا تَجعَلْ لهؤلاءِ علَينا مِن سَـبيلٍ أو سُـلطانٍ، ولا تَجعلْنا مغلوبِينَ لهم، أو لا تَجعلِ الظالمِينَ حاكِمينَ علينا؛ فإنَّهم لا يَرحَمون الرَّعيةَ. وقيل: لا تُسلِّطْ علينا مَلائكةَ العَذابِ في القَبرِ والنَّارِ.

ولقد بيَّن الله تعالى في عدة آيات ســـؤال الأنبياء والمؤمنين الســـلامة من الظالمين والكافرين كما ذكر الله عن موســـى عليه الســـلام{رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[القصـــص: 21)، وإبراهيم والذين معه: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}[ الممتحنة: 5] ، ونبينا محمد –ﷺ–يدعوا { رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[ المؤمنون: 94].

ويحسن بالداعي أن يستحضر كل هذه المعاني حال دعائه.

المراجع: الدرر السنية ، الكلم الطيب.